المحاضرة السادسة

(أولية الموشحات ومراحلها)

لعل مقدما بن معافى القبري الضرير هو أول من اخترع الموشحات . أما الذين نسبوا موشحة (أيها الساقي) إلى ابن المعتز فإنهم يزعمون مشرقية هذا الفن . وقد اجتمع لدى الباحثين من الأدلة ما ينفي نسبتها إليه ، وهذه الأدلة هي :

أولا : إن هذه الموشحة وردت في مصادر أندلسية وغير أندلسية منسوبة إلى ابن زهر .

ثانيا : بعد الموشحة عن روح الشاعر وعواطفه ، وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التي عرف بها .

ثالثا : لو كان ابن المعتز صاحب هذه الموشحة لشاع هذا الفن في المشرق .

رابعا : إن هذه الموشحة جاءت موافقة ومناظرة لموشحات أخرى .

الموشحات بين المشرق والأندلس

احتدم النقاش بين الباحثين واختلفت حججهم حول موطن الموشح ونشأته ، وتناول بعض الباحثين اتجاهين :

الاتجاه الأول :

يرى أنصاره أن الموشح تطور عن الشعر العربي المشرقي المتمثل في النماذج الشعرية الكثيرة ، وانصرفوا عن الأنماط التقليدية في أوزان الشعر العربي وقوافيه فيما عرف بالمسمطات والمزدوجات . وذهب أحد الباحثين إلى جعل سورة المرسلات من القرآن الكريم أصلا لنشأة الموشحات ، وهو رأي لا يخلو من تعسف وغلو . وقد حاول الدكتور فؤاد رجائي أن يثبت الأثر المشرقي في ظهور هذا الفن ، حيث وجد زرياب المغني كان له تأثير في نقله طريقة الغناء المشرقية القائمة على أصول النوبة الغنائية ، وتتمثل هذه الطريقة في عدد من المغنين يغني كل حين تأتي نوبته عددا من الأبيات على لحن واحد بإيقاع وقافية مختلفتين .

وممن ذهب إلى القول بالأصل المشرقي من المستشرقين نيكل وهارتمان ويوهان فك ، ومن العرب الدكتور إحسان عباس وشوقي ضيف وصفاء خلوصي .

الاتجاه الثاني :

يتمثل في آراء الدارسين التي ترى في الموشح ثمرة من ثمار الأندلس اليانعة ، ومن الذين نحوا هذا المنحى عدد من مستشرقي الإسبان ميندالث بيلانو وخوليان ريبيرا وغرسيه غومس .

وكذلك من الباحثين العرب منهم محمد كرد علي وعبد العزيز الأهواني والدكتور مصطفى عوض الكريم وبطرس البستاني وعباس الجراري .

لقد وجد ريبيرا في الموشحات أثرا من آثار الأغاني الجليقية وهي خلاصة الأغاني الرومانثية الإسبانية ، ومن الآراء التي استحوذت على الاهتمام مدى صلة الموشحات بالشعر الفرنسي والإسباني الجونكلر والتروبادور والبروفانسيين .

أما بطرس البستاني فقد وجد أن الاتفاق الموجود بين هذه المنظومات والموشحات يدل على تأثر العرب بالأدب الإسباني الفرنسي ، وهي فرضية ذهب عدد من الدارسين إلى إثبات عكسها .